قال بكل بها الغدرا إذا العيس هزها ذميل وإرخاء من السير متعب
فإن قلت كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا أبشرا إنكارا
لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلا من جنس البشر وهم الملئكة
وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن تتبع
الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه
قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه
بالاختيار للنبوة أشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على
ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم أو يوم القيمة من الكذاب
الأشر صالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم
أو هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث
وحذر وحذر وأخوات لها وقرئ الأشر وهو الأبلغ في الشرارة والأخير والأشر
أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الأنباري قول
العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها
من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم
صانعون واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري قسمة بينهم مقسوم بينهم
لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر محضور لهم
أو للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها صاحبهم قدار بن سالف
أحيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث
العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف صيحة واحدة
صيحة جبريل والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل
الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم

وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة حاصبا ريحا تحصبهم
بالحجارة أي ترميهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه وقيل هما سحران
فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد مرت بأعلى السحرين تذأل
وصرف لأنه نكرة نعمة إنعاما مفعول له من شكر نعمة الله بإيمانه وطاعته ولقد
أنذرهم لوط عليه السلم بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر
متشاكين فطمسنا أعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي
أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلم ليدخلوا قالت الملئكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك
لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل عليه السلم بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب
حتى أخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملئكة بكرة أول النهار
وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير مصروفة تقول أتيته بكرة
وغدوة بالتنوين إذا أردت التنكير وبكرة وغدوة إذا عرفت وقصدت بكرة
نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب
الآخرة فإن قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر قلت فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين
ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك
والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم
السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها
في سورة المرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر
حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان النذر موسى
وهرون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع